

حقيبة المدرسة

أذكر أنني من التلاميذ الذين كانوا يحملون كتبهم إلى المدرسة في مخلاة؛ وأشرحها لتلاميذ اليوم فأقول إنها عبارة عن كيس من القماش الممتين، يشبه قماش الستائر، وتمتد منه حملتان لكي يسهل على التلميذ تعليقها في كتفه. وكانت المخلاة لا تقتصر فقط على حمل الكتب والمكراسات والأقلام والممحاة، بل إنها كانت تتسع أيضاً لوضع طعام الإفطار والغذاء جنباً إلى جنب مع أدوات العلم ووسائله.

المهم في الموضوع أن الجدول الدراسي بالمدرسة كان منضبطاً إلى حد كبير، فمن الثابت أنه في يوم السبت مثلاً توجد المحصص التي تتطلب كتباً معينة، وفي يوم الأحد كتب أخرى. وهكذا لم تكن نحمل في المخلاة إلا الكتب المقرر دراستها في نفس اليوم. وبالطبع كان هناك عقاب مدرسي للتلميذ الذي لا يحضر معه كتب اليوم المحدد.

ثم دار الزمن، وتطورت المدرسة كثيراً، وحل محل المخلاة: حقيبة بلاستيكية أو جلدية فخمة المصنع، وطبعاً غالبية الثمن، وفيها أصبح مطلوباً من التلميذ أن يحمل رانچاً وغادياً من المدرسة. "كل الكتب والمكراسات والأدوات بدون استثناء. لماذا؟ لأن الجدول المدرسي غير منضبط، فمن الممكن أن تكون هناك حصة عربى يتم إلغاؤها وتحل محلها حصة رياضيات، ولذلك أصبح يقال للتلميذ: ضع كل كتبك في حقيبتك حتى تكون دائماً على أهبة الاستعداد لإخراج أى كتاب يطلب منك في حصة مفاجئة!؛

بالطبع ثقلت حقيبة المدرسة على أكتاف التلاميذ، وأصبحت تمثل عبئاً يمكنه أن يؤذى فقرات ظهورهم، ويسبب لهم آلاماً في الغضاريف، وصدار التلاميذ، الذين كانوا يسرعون خفاً إلى المدرسة، يسرون إليها متناقلين متباطئين، ويخرجون منها متهاكين ومنهكين..

كان الله في عون تلاميذ اليوم! فعليهم أن يحملوا "أسفراً" ضخمة، وأن يحفظوا معلومات ومعلومات.. ومطلوب منهم في الامتحان أن يعيدوا - بدون تفكير - ترديد ما حفظوه، حتى يحصلوا على أعلى المجاميع، ويدخلوا ما يسمى بكلية القمة. ولاحظوا معي: كيف يصعد هذا التلميذ، الذي أثقلته حقيبة المدرسة، إلى القمة؟!

أذكر أنني من التلاميذ الذين كانوا يحملون كتبهم إلى المدرسة في مخلاة! وأشرحها لتلاميذ اليوم فأقول إنها عبارة عن كيس من القماش الممتين، يشبه قماش الستائر، وتمتد منه حمالتان لكي يسهل على التلميذ تعليقها في كتفه... وكانت المخلاة لا تقتصر فقط على حمل الكتب والكراسات والأقلام والممحاة، بل إنها كانت تتسع أيضاً لوضع طعام الإفطار والغذاء جنباً إلى جنب مع أدوات العلم ووسائله..

المهم في الموضوع أن الجدول الدراسي بالمدرسة كان منضبطاً إلى حد كبير، فمن الثابت أنه في يوم السبت مثلاً توجد الحصص التي تتطلب كتباً معينة، وفي يوم الأحد كتب أخرى. وهكذا لم تكن نحمل في المخلاة إلا الكتب المقرر دراستها في نفس اليوم. وبالطبع كان هناك عقاب مدرسي للتلميذ الذي لا يحضر معه كتب اليوم... المحدد..

ثم دار الزمن، وتطورت المدرسة كثيراً، وحل محل المخلاة: حقيبة بلاستيكية أو جلدية فخمة المصنع، وطبعاً غالية الثمن، وفيها أصبح مطلوباً من التلميذ أن يحمل -رائحاً وغادياً من المدرسة- "كل" الكتب والكراسات والأدوات بدون استثناء. لماذا؟ لأن الجدول المدرسي غير منضبط، فمن الممكن أن تكون هناك حصص عربية يتم إلغاؤها وتحل محلها حصص رياضيات، ولذلك أصبح يقال للتلميذ: ضع كل كتبك في حقيبتك حتى تكون دائماً على أهبة الاستعداد لإخراج أي كتاب يطلب منك في... حصة مفاجئة!!

بالمطبع ثقلت حقيبة المدرسة على أكتاف التلاميذ، وأصبحت تمثل عبئاً يمكنه أن يؤذي فقرات ظهورهم، ويسبب لهم آلاماً في العضاريف، وصار التلاميذ، الذين كانوا يسرعون خفافاً إلى المدرسة، يسيرون إليها متثاقلين متباطئين، ويخرجون منها متهاكين ومنهكين..

كان الله في عون تلاميذ اليوم! فعليهم أن يحملوا... أسفراً... ضخمة، وأن يحفظوا معلومات ومعلومات... ومطلوب منهم في الامتحان أن يعيدوا -بدون تفكير- ترديد... ما حفظوه، حتى يحصلوا على أعلى المجاميع، ويدخلوا ما يسمى بكليات القمة. ولاحظوا معي: كيف يصعد هذا التلميذ، الذي أثقلته حقيبة المدرسة، إلى القمة؟!